بعض النماذج المصطلحية من لغة التواصل

د. الحاج بن مومن (*)

سنحاول، من خلال هذه المداخلة، تناول بعض الجوانب من اللغة المستعملة داخل ميدان التواصل، باعتبارها لغة من لغات التخصص، وبحكم انتماء معجمها إلى دائرة الألفاظ الحضارية المستعملة في الحياة اليومية.

لا بأس أن نذكر، في مستهل عرضنا، بأهم المفاهيم النظرية المرتبطة بلغات التخصص كما تناولها LERAT(1995)، GALISSON (1998)، ALLWOOD (1999)، قبل أن نتفحص بعض الجوانب اللسانية من مجال التواصل لنعاين، تفاعل المصطلحية العربية مع المفاهيم الأجنبية الحديثة عبر أمثلة منتقاة من لغة الإشهار وأخرى من لغة الإنترنيت أو ما أقترح تسميته بالعنكبيت، وهو لفظ منحوت من عنكبوت وبيت استناداً إلى مقابلاتها في الإنجليزية : Web of spider والفرنسية La toile d'araignée .

متغيرات وتجانس في اللغة

إذا ما استثنينا الوظيفة التواصلية للغة، هناك وظائف أخرى أساسية تسمح بالتعريف بمكونات محيط الإنسان وإعطائها معنى وبالتالي ضمان استمراريتها. وبعبارة أخرى، **إن اللغة تمكّن من ترسيخ وتخزين** المعطيات في الذاكرة، الشيء الذي يترتّب عليه تنمية الرصيد المعرفي و يساعد على توظيف تلك المعطيات عند الحاجة. إن تسمية الأشياء والمفاهيم تتماشى حتماً مع اختراعاتها. يبدو هذا القول من المسلّمات لولا المعطيات الأساسية التي تتستّر وراءه. منها، مثلاً، أن عملية التمثّل خاصّية فكرية يتم تجسيدها عن طريق التسمية.

تساهم عدة عوامل في توفير المناخ الملائم والشروط الضرورية التي تساعد على التجانس وعلى محو الفوارق الجهوية والاجتماعية للغة ما؛ ونذكر من بين تلك العوامل:

- إكراهات عملية التواصل؛
- تأثير وسائل الإعلام (السمعية-البصرية والمكتوبة)؛
- ضرورة التمدرس؛
- العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ومع ذلك لا يوجد على وجه البسيطة تجمع لساني في أتم التجانس لأن أسباباً عدة تحول دون ذلك، ونذكر منها: السن، الجنس، المهنة، الجغرافية، الوضعية الاجتماعية، الحرفة،... إلخ. ويتم تأثير هذه العناصر في عملية التواصل، عن طريق إدخال متغيرات في التداول اللغوي.

و تعتبر الأنشطة الاجتماعية و الاقتصادية من بين العوامل الأساسية التي تساهم في تلك المتغيرات اللسانية.

(*) المنتدى المغربي للمصطلحات والترجمة بالرباط.

والكلّ يعلم أن المستجدات العلمية والتقنية للسنوات الأخيرة ساهمت بقسط وافر في تطور اللغة، بل وعجلت بالتغيير المسجل حالياً، إن على الصعيد المعجمي أو على مستوى التراكيب. هكذا نلاحظ نوعاً من التجانس اللساني من جهة، ومن جهة أخرى، نسجل حركية تحديث لساني تتمثل في اقتحام ألفاظ جديدة المعجم المألوف، إثر تحديد المفاهيم العلمية والتقنية المستحدثة وضبط تسمياتها.

لغات التخصص واللغة العامة

يستعمل العلماء والتقنيون، أثناء ممارسة أنشطتهم وعند التواصل فيما بينهم، لغة مغايرة للمنطوق المألوف. فيبدو من الممكن استنباط بعض السِّمات المميزة بين ما يسمى بلغات التخصص أو اللغات المتخصصة وما ينعت باللغة العامة أو المشتركة.

إن الابتذال (la banalisation) العلمي والتقني يفرغ في الرصيد اللغوي المتداول يومياً كمّاً هائلاً من المصطلحات التي فقدت نسبة من حمولتها العلمية والتقنية. هكذا أصبحت عدة مصطلحات مثل: التكنولوجيا، الحاسوب، البرمجيات، الوسائط المتعددة، الفضائيات، العولمة،... إلخ، أصبحت هذه مألوفة لدينا. و أصبح من الصعب التمييز بين المصطلح العلمي أو التقني، من جهة، وبين اللفظ المألوف، من جهة أخرى.

يعتبر اللفظ العلمي أو التقني مصطلحاً إذا استعمل في مداخلة علمية أو تقنية. وتعود كينونة لغات التخصص إلى ضرورة تسمية المفاهيم أو المحسوسات التي لا وجود لها في اللغة العامة. يمكن القول، إذا، إن لغات التخصص تسعى إلى لعب دور الوسيط في عملية التواصل داخل مجال متخصص ومن طرف أخصائيي هذا المجال. لكن يجب التعامل بحذر مع هذه المعطيات النظرية خصوصاً إذا استحضرنا إشكالية ابتذال الألفاظ العلمية و التقنية، ونوعية الروابط بين اللغة العامة ولغات التخصص. ومن المعلوم أن هذه الأخيرة توظف نفس الوسائل المعجمية، والصرفية، والتركيبية التي تستعملها اللغة العامة و تربطها بهذه الأخيرة علاقات وثيقة، حيث يتم تبادل مستمر بينهما. وتوجد هناك لغات تخصص مختلفة حسب تنوع مجالات الاختصاص، و حسب مستويات التواصل ودرجات التخصص وكذلك بالنظر للمنطقة الواصلة بينها وبين اللغة العامة.

وإذا اعتمدنا تصنيف Daniel Coste و Robert Galisson يمكن التمييز بين:

- اللغات العلمية المستعملة لدراسة مجالات تجريبية تعنى بموضوع أو بمنهجية معينة، وبمعارف تعتمد على علاقات موضوعية وقابلة للتحقّق؛

- اللغات التقنية التي تعنى بالمجالات التطبيقية بغية وصف المنتجات، وطريقة الصنع، ووسائل وعناصر الإنتاج، والمنتجين،... إلخ؛

- اللغات المهنية والحرفية التي تصف مجالات التجارب التي يمارسها الأشخاص يدوياً أو آلياً.

و فضلاً عن هذه التصنيفات، يجب الإشارة إلى المجالات التجريبية غير المهنية و تلك المتعلقة بالترفيه.

وحتى نحترم المنطق، يجب التذكير بأن هذا التصنيف لا يعني استقلالية مجالات الأنشطة بعضها عن بعض نظرا لتداخل الميادين المعرفية وتراكُبها. فأين تنتهي حدود تخصص ما وأين تبتدئ حدود التخصص الآخر؟ أما تستعير علوم الكيمياء بعض المفاهيم من الفيزياء وحتى من البيولوجيا ؟وكيف يمكن التعريف بالكيمياء الحيوية (البيوكيمياء) هل هي مغايرة تماماً للكيمياء أو للبيولوجيا أم تعتبر خليطاً من المجالين وبأية نسبة منهما ؟ وماذا عن الطب، وعلم التشريح، والفيزيولوجيا، و علم الأحياء، و الكيمياء ؟ و كذلك الشأن بالنسبة للتمييز بين اللغة العلمية واللغة التقنية، فالحدود بينهما غير واضحة حيث نلاحظ نوعاً من مكوكية المفاهيم والمصطلحات بين المجالين، وكما عبّر عنه J.L . Descamps و A. Phal :

إذا كان المصطلح coefficient= (معامل)، لفظاً من المعجم العلمي، فـ:

= coefficient d'absorption totale linéaire

معامل امتصاص كلي خطي

ينتمي كذلك إلى معجم الألفاظ التقنية.

بعض مميزات لغات التخصص واللغة العامة

رغم الصعوبات التي أشرنا إليها، لتحديد مفهومي لغات التخصص واللغة العامة، سنحاول استنباط بعض المعايير الوظيفية أو بعض المميزات حتى نقف على حقيقة الأمر.

يمكن القول إن لغة التخصص هي قبل كل شيء وسيلة لتبليغ حقائق ووقائع، بمعنى أنها تدلُّ على أشياء وعمليات، حيث يعطى الامتياز للعلاقة بين الرمز اللغوي و المرجع. وتسعى لغة التخصص إلى رفع اللبس و تعميم وتدويل الرمز اللغوي. ويبدو أن لمختلف لغات التخصص حدا أدنى من السِّمات المشتركة، حيث تسعى كلها لضمان أقصى حد من التفاهم بين أخصائيي مجال معرفي معين، ويتأتى ذلك عن طريق الحث على الوضوح والدقة والتركيز على الجانب الوظيفي للمصطلحية. وفيما يلي بعض المميزات العامة للغات التخصص التي تطمح إلى توفير:

- تواصل ناجع؛
- أعلى درجة من الدقة؛
- تفادي اللبس؛
- الحياد؛
- تفرُّد المعنى: (monosémie)

وتتداخل كل هذه المميزات لضمان تواصل ناجع، وهي سمة ناتجة عن كل السِّمات الأخرى.

ويبرهن العدد الهائل لمصطلحات لغات التخصص عن التعبير على الدقة المتناهية للمتغيرات الخاصة بمفهوم إجمالي داخل اللغة العامة. و يمكن التعريف بكل تلك المصطلحات بدقة، أي عن طريق سمات وصفية عديمة اللبس، تراتبية،ومنتمية إلى صُنافة مغلقة(Catalogue). وهكذا يتسنى تحديد دلالة تلك المصطلحات فيما بينَها عبر مفاهيمها بطريقة واضحة وموضوعية. وكل تأويل آخر يعتبر لاغياً. كما تتفادى لغات التخصص كل تعبيرية أو عاطفية.

تلجأ اللغة العامة إلى نماذج شكلية أو قوالبَ معجمية مختلفة لتسمية الأشياء والمفاهيم. وتسلك

المصطلحية نفس النهج، بل وتبتكر، عند الحاجة، نماذج متميزة لبلوغ نفس الأهداف. وتجدر الإشارة، هنا، إلى أن هذه الأدوات المصطلحية تتوفر على طاقات توليدية متفاوتة الإنتاجية.

ومن بين السِّمات اللسانية المميزة للغات التخصص نذكر، في الدرجة الأولى، **أهمية الأسماء**، حيث تبرهن الدراسات على هيمنة هذه الأخيرة داخل النصوص العلمية والتقنية؛ وتتجسد هذه الأسماء داخل لغات التخصص في شكل تراكيب نسقية مثل :

1) أنساق أُحادية الاسم

أ) اسم + صفة

بريد إلكتروني (أو كُهروبي). تحويل مالي. وثيقة مطلبية. قيمة مضافة

ب) اسم + صفة+ صفة

إعلانات تجارية احترافية

خدمات إشهارية متكاملة

عنصر تتابعي منطقي

2) أنساق ثنائية الاسم

أ) اسم + اسم

جيل إنترنيت. نظام تشغيل. قسيمة اشتراك

ب) اسم + محدد+ اسم

طريقة التخزين. أسعار الاشتراك. طريق الثراء.

قسم التسويق.

3) أنساق ثلاثية الاسم

أ) اسم+ محدد +اسم+ محدد + صفة

تكنولوجيا الشبكات السريعة

أسواق الأجهزة الإلكترونية (أو الكُهروبية).

قواعد البيانات الموزعة

ب) اسم+ اسم + محدد +اسم+محدد+ صفة

محرك أقراص الفيديو (أو المرياء) الرقمي

مجموعة شركات التسويق الإشهاري

مبيعات أجهزة الحاسوب الشخصية

4) أنساق رباعية الاسم

أ) اسم+ اسم+ محدد + اسم+رابط+ محدد+ اسم

عرض حلول الأعمال والتواصل

ضبط انتشار التقنيات و الخدمات

تطورات قطاع الصنع و التصدير

ب)اسم+اسم+اسم+محدد +اسم+محدد+صفة

تعزيز قدرات مجال الترويج الإلكتروني

برنامج توسيع قاعدة المعطيات التجارية

تطوير قطاع تكنولوجيا المبيعات الإلكترونية

5) أنساق خماسية الاسم

اسم+اسم+ محدد + اسم+رابط+اسم+محدد +اسم+محدد + صفة

برنامج تدريب الشركاء على تقنيات التوقيع الإلكتروني

إدارة أنظمة الحوسبة و قوانين المتاجرة الحديثة

صيانة أجهزة الاتصالات و وسائط الإعلام المتعددة

6) أنساق سداسية الاسم

اسم+اسم+اسم+اسم+ محدد+ اسم+ رابط+ محدد+ اسم

معالجة عمليات ضبط وثائق المبيعات والشحن

بناء قاعدة معطيات زبائن الشركة و المستخدمين

دراسة صيغ إعلانات عروض التسويق و التصدير

والجدير بالإشارة هو أن هذه الأنساق متطابقة تماماً مع النّماذج النظرية الوصفية للمصطلحية العربية و التي اقترحتها في دراسات سابقة. ولا بأس أن أذكر بالمناسبة ببعض مقاصد تلك النّماذج النظرية التي تروم:

- فهم تركيبة المولّدات العلميّة و التقنيّة؛
- إخضاع المصطلحية للضوابط اللّغويّة؛
- المساهمة في ضبط برمجيات معلوماتية تساعد على التعرف على الوحدات المصطلحية وانتقائها، عن طريق المسح الإلكتروني لبنوك المعطيات النصية؛
- إعداد صُنافات من التعابير الجاهزة وإدراجها ضمن برمجيات الترجمة الآلية للرفع من فعالية هذه الأخيرة؛... إلخ.

وأُحيل المتلقي الكريم على قائمة المراجع إذا ارتأى أن يخوض في هذا الموضوع.

ومن السِّمات الأخرى البارزة للغات التخصص، التواتر المرتفع للصفات التي تدخل في تشكيلة المركبات المصطلحية حيث تقوم تلك الصفات بوظيفة إسنادية أو وصفية كما ورد في الأمثلة السابقة.

وغالباً ما نصادف أمثال هذه الأنساق الاسمية أو ما ينعت بـــالمركبات الثقيلة:

(Les composés lourds) داخل النصوص العلمية والتقنية، وهي مرتبطة أساساً باللغة المكتوبة، وعند انتقالها إلى المنطوق تفقد الكثير من عناصرها بحكم ما يسمى بمبدأ الاقتصاد اللساني الناتج عن التداول والتكرار من جهة، و بفعل تجانس اختصاصات المتخاطبين.

هكذا تقلصت كلمة Modulateur-démodulateur إلى Modem ، و courrier électronique لتصبح courriel في كانادا و lemel في فرنسا، و Handy camera إلى Handycam. أو عن طريق الاختزال مثل قولهم N.T.I.C عوض Nouvelles Technologies de l'Information et de la Communication، إلخ. أما داخل اللغة العربية فهناك مؤشرات من هذا القبيل حيث بدأنا نسمع استعمال لفظ المحمول عوض الهاتف المحمول أو الثابت عوض الهاتف الثابت، و الفضائيات عوض القنوات الفضائية، أو عن طريق الاختزال كذلك مثل: اليونسكو على غرار الإنجليزية، أو كما يقال عندنا في المغرب: كدش، عوض الكنفدرالية الديمقراطية للشغل، إلخ.

وأفرزت تحليلات النصوص العلمية والتقنية المتعلقة بلغة التواصل قلة تواتر الأفعال، ما عدا تلك التي لها حمولة دلالية محايدة و يقتصر استعمالها على الربط المنطقي بين العناصر المكونة للمعنى. ويبدو أن هذه المميزات مشتركة بين جميع لغات التخصص، اللهم فيما يتعلق بالرصيد المعجمي الذي يختلف من لغة إلى أخرى،

هكذا، مثلا، تنفرد لغة الطب بكثرة استعمال ألفاظ من المعجم اليوناني اللاتيني.

أما داخل لغة التواصل، فنلاحظ كذلك بعض الحالات الشاذة المتعلقة أساساً بنوع من الخطاب الخاص بمجال الإشهار والذي يعتمد على التعبيرية وجلب الانتباه، بغية التأثير الفوري على المتلقي عن طريق أنساق لسانية قصيرة وهادفة. ونذكر من بين هذه الترسانة التعبيرية استعمال:

صيغة الأمر (أو الحثّ)

تعلّم المحادثة ... بأحدث تقنيات التعرف على الكلام الآلي!

احترف ... : شاهد، استمع، تعلّم خطوة بخطوة حتى الاحتراف!

انضم إلى عضوية ... واحصل يومياً في بريدك الإلكتروني على...

صيغة الاستفهام

هل يعود الودّ بين ميكروسوفت و أبل؟

كيف تحب أن تتسوق؟ هل تريد... ؟ الحل هو...

بناء أم شراء أم إيجار؟

صيغة التعجب

كيف تبيع وتبيع و تبيع!

تمتع اليوم بتقنية الغد!

برمجية كذا... تراود إنترنيت!

صيغة التفضيل

أفضل طابعة بأرخص الأسعار!

أقرب طريق لأسرع حل!

أول مستعرض عربي للوسائط المتعددة!

وصيغ أخرى مثل: يمكن، يمكنك، بإمكانك، الممكن، تمكّن من...،

ومع ذلك تقتسم لغة الإشهار مميزات كثيرة مع لغة التواصل عامة، من بينها كثرة الأرقام والصيغ و الرسوم البيانية، و الاستعانة بعدة حروف معانٍ و روابط نسق، كما في الأمثلة التالية المستنبطة من لغة الإشهار:

حروف معانٍ

الإبداع بجميع ألوان الطيف!

رحلة طويلة في عالم الإبداع والجودة!

الحدث بكل نزاهة وموضوعية!

روابط نسق

الجيل الثاني من الإنترنيت أو طريق الثراء السريع!

صقيع، شمس، وثبات في الألوان !

أحدث أجهزة الاتصالات و الوسائط المتعددة!

هذا باختصار شديد تذكير ببعض المعطيات المتعلقة بمميزات لغات التخصص واللغة العامة.

اللغة العربية و التقنيات الحديثة للإعلام والتواصل

تعتبر التقنيات الحديثة للإعلام والتواصل من المجالات التي يتحدد بموجبها مستقبل الهويات الوطنية و مصير أهم لغات للتواصل. هكذا نلاحظ احتكار اللغة الإنجليزية لجل الفضاء السمعي البصري عبر العالم (خاصة منه الإنترنيت)، وتشمل هذه الظاهرة البلدان

العربية في الشرق الأوسط. أما فيما يخص دول المغرب العربي فهناك منافسة شرسة بين اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية للهيمنة على المشهد السمعي البصري لشمال أفريقيا. وحتى تستطيع اللغة العربية مجابهة هذا السيل الجارف من الأصوات والصور النصوص، يتوجّب على الدول العربية الآن، الآن وليس غداً ، التعجيل بـ:

- خلق فضاء سمعي بصري متنوع، عن طريق تطوير الإنتاج الإذاعي و التلفزي والسينمائي كمّاً وكيفاً سواء بتشجيع الإنتاج المشترك للبرامج، أو بإحداث وسائط عربية مشتركة من إذاعات و قنوات فضائية (على غرار TV5) ، للمزيد من التعارف والتعامل بين شعوبنا؛

- إحداث موقع مشترك عبر الإنترنيت يفتح الباب أمام الفعاليات العربية للحث على الاقتراحات و الابتكارات الهادفة إلى توحيد الرؤيا حول قضايا قومية وتكريس الطاقات الخلاّقة لتحقيق ما تصبو إليه أجيال المستقبل؛

- نظراً للوقع الشديد على نفسيات الشباب الناتج عن مشاهدة أشرطة الرسوم المتحركة، وعن معاينة البرمجيات على الأقراص المدمجة، يتعين علينا تطوير هذا القطاع بتشجيع الإنتاج المشترك ودعم عملية التوزيع (نسخ، دبلجة، عنونة سفلية، تسويق، ...إلخ.)

وفضلاً عن هذه المجموعة من التدابير الهادفة، هناك خطوة أخرى لا تقل أهمية من سابقاتها والتي تهدف إلى الدفع بعجلة البحث العلمي في البلاد العربية، ويتعلق الأمر بإرساء محطات لليقظة اللسانية على صعيد مختلف تلك الوسائط، وخاصة منها الإنترنيت، لترقّب مستجدات ألفاظ الحضارة وترجمتها أو تعريبها في حينها من طرف خبراء المصطلحية والترجمة و تخزينها داخل موقع خاص على الإنترنيت في شكل نصوص علمية وتقنية، أو صُنافات أو معاجم افتراضية سهلة الولوج والاستغلال من طرف المُبْحِر العربي.

هذا هو الثمن المطلوب تسديده لإيقاظ الوعي القومي ولإقحام اللغة العربية في حظيرة لغات العلوم والتكنولوجيا. ولن يتسن ذلك إلاّ بتفعيل دور جامعة الدول العربية وإشراك جميع المؤسسات المعنية بهذا المشروع عبر الأقطار العربية.

المراجع

- سمومن الحاج (2000): *أداة نظرية في بناء المصطلح*، ندوة دولية حول *قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 9 ، 10 و 11 مارس 2000.
- ALLWOOD, Jens and Peter Gardenfors (Eds) (1999): Cognitive semantics, Meaning and cognition, Amsterdam/ Philadelphia, John Benjamins, X + 201p.
- GALISSON, Robert et J.C.ANDRE (1998) : Dictionnaire des noms de marques courants, Essai de lexiculture ordinaire, Paris, Didier Erudition, 342p.
- GUESPIN, Louis (1995): La circulation terminologique et les rapports entre science technique et production, in: Meta, numéro spécial, vol.40, n°2, pp.206-215.
- LERAT, Pierre (1995): Les langues spécialisées, Paris, P.U.F, coll. "Linguistique nouvelle".